الرجولة المسيحية

من كتاب ((متدين أم مسيحي))
تأليف أ. هالسبي

إعداد مايك جبران

"اسهروا، اثبتوا في الإيمان، كونوا رجالاً، تقووا" (١ كورنثوس ١٣: ١٣).

عندما نتحدث عن "الرجولة" المسيحية يجدر بنا أن نشير أنه لا علاقة لذلك بالاختلاف بين الجنسين. فبوسع النساء أن يتّصفن بالرجولة المسيحية أسوة بالرجال. فقولنا هذا إنما يطلق على سبيل المجاز، ولذا نؤكد أن المسيحية ليس رجولة فحسب بل هي أكثر رجولة من أي شيء آخر في العالم.

ومع ذلك فإننا نصادف بين الأفراد والجماعات المسيحية الشيء الكثير مما يتنافى والرجولة المسيحية. فبدلاً من القوة والنشاط نجد الميوعة والضعف والتخنث، وعوضاً عن تألق المسيحية وحيويتها تغلب التأوهات والعويل والشكاوى، ويأخذ التلفيق والتذبذب مكان العزيمة والخشونة، وبدلاً من الروح المسيحية الطبيعية السمحة يسيطر التصنع والتكلف، ويبدو الخجل والذعر والخسّة بدلاً من إخلاص المسيحية الحقة وشموخها واستقامتها.

هذا ولا بد لنا، عندما نحاول تحديد سبب ذلك، من أن نجتهد كي نكون منصفين في حكمنا على الآخرين. وهناك على سبيل المثال سببان يوضحان، وإن كانا لا يبرران، ما ذكرناه من أمور تتنافى والرجولة المسيحية.

فهناك أولاً التأثير الذي يسببه ما هو غريب عنا. فنحن جميعاً بالطبيعة غرباء عن الله، ولذلك فنحن غير معتادين على العيش في محيط مقدس ومن ثم نشعر جميعنا، بكيفية ما، بضعف الثقة في أنفسنا، ونتحرك في حضرة الله بخطى مترددة مضطربة. ولا يصدق هذا القول على علاقتنا الباطنية بالله فحسب بل إنه يميز أيضاً سلوكنا الخارجي وكلماتنا بل وتعابير وجوهنا. ويمكن القول أنه لا يوجد بين مجالات الحياة الإنسانية مجال آخر يصعب علينا فيه أن نكون طبيعيين كالمجال الديني. وهذه نتيجة ورثناها بسبب السقوط.

ثانياً: لا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من تأوهاتنا وعويلنا وشكوانا قد بدأ منذ حدثت يقظتنا الروحية. وفي تلك الفترة كان الحزن والأسى أمرين طبيعيين. وكل من أحس بخطاياه بفضل إنارة الروح القدس يقرّ بالتأكيد بأنه ليس غريباً أن يلجأ الناس في مثل هذه الأوقات إلى التأوهات والمرائي وهي حالة يجب أن نسرّ برؤيتها. وأما الخطأ الذي يحدث فهو السماح

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

للتأوه والشكوى، اللذين كانا طبيعيين أثناء الصراع الذي رافق التحول، بالدخول خلسة إلى حياتنا المسيحية الناضجة الواعية وتركهما يؤثران في طبيعتها. وهذا بلا ريب أمر لا يمكن أن يكون طبيعياً.

ومما لا شك فيه أن المسيحية تستطيع أن تصنع الرجال. والمسيح خير مثال على ذلك، فهو أكثر الرجال رجولة. لقد كان رجلاً أمام العدو والصديق، وفي الفرح والحزن، وفي الألم والموت. ولستُ أدري ما الذي نضعه أعلى في المرتبة، الشجاعة التي ضحّى بها بنفسه واحتمل بها الألم أم الشجاعة التي واجه بها الموت.

هذا وإننا نلاحظ الأمر نفسه بمقياس أصغر في رجال المسيح: كبولس وأوغسطين ومارتن لوثر وتندال ووسلي وهانز نلسن هوج ونكتفي بذكر هؤلاء الذين بلغت أ،باء رجولتهم المسيحية إلى كل الأصقاع.

ولا ريب أن المسيحية تجعل المرء رجلاً منذ البداية فهي تهب البشر أعظم وأبدع شجاعة إنسانية ونعني بها القدرة على إقرار المرء بخطيئته والاعتراف بها. فهو أولاً يتمكن، بمساعدة روح الله، من المجيء إلى الله بكل خطاياه حيث ينال منه المصالحة العظيمة التي تحمل معها أيضاً معنى الإذلال والإخضاع. ولا شك أن هذا يتطلب شجاعة حقيقية. وكم من الناس ظلوا طول حياتهم يفرون كالجبناء من هذه المصالحة! وكذلك فإن المسيحية تمنح الإنسان الشجاعة ليجبر نفسه على الاتضاع أمام الناس. فإذا أساء إلى شخص ما أو غدر به فسوف ينال القدرة على الاعتراف إليه بذلك والوقوف منه موقفاً يظهر حقيقته كمنافق بائس.

ثانياً: إن المسيحية تهب المرء الشجاعة لينفصل عن الخطيئة. وهل يتطلب لك شجاعة؟ بلى. وفي الواقع إنه يتطلب كل الشجاعة لأننا جميعاً نحب الحياة نفسها. لذلك فإن الانفصال عنها لا يقل صعوبة عن اقتلاع العين أو بتر اليد. لكن الإنسان يتلقى الشجاعة ليفعل ذلك حين يسلم نفسه لله ويصبح مسيحياً. وعندئذ يستطيع أن يدخل بصورة علنية في المعركة ضد كل خطاياه بغض النظر عن الثمن.

ثالثاً: تهبنا المسيحية الشجاعة لنكون أمناء نحو اعتقاداتنا الخاصة، ولننفصل عن رفاق الخطيئة القدامى. ولا يعني انفصالنا عنهم أن نكف عن حبهم، بل بالعكس فهو يعني أننا الآن نحبهم أعظم الحب حتى أننا نقول لهم الحق ونطلب منهم أن ينفصلوا عن حياتهم العالمية الآثمة التي ما زالوا مستعبدين لها. وكم هو عظيم مقدار الشجاعة التي يتطلبها ذلك!

إننا جميعاً جبناء، ولذلك لا نستطيع أن نكون مسيحيين صادقين بجمع قلوبنا. ولا شك أن المسيحي الذي وهب جزءاً من قلبه فحسب يستطيع أن يكون مستريحاً في الأوساط والحفلات الاجتماعية كافة. أما المسيحية الحية فهي دائماً تجعل من يتمسك بها موضوع اضطهاد واحتقار.

وهذا أيضاً أحد التناقضات الظاهرية في المسيحية وأحد أوجهها المعثرة. وهو أيضاً أحد الأسباب التي تجعل الكثيرين، ممن اقتنعوا بقوة ووضوح بوجوب الرجوع إلى الله بالإيمان، لا يجرؤون على ذلك. فهم يخشون ابتسامات الرفاق وتهكماتهم ولذلك يتخلون عن الله ويحاولون إقناع ضمائرهم بقليل من التدين مع حياة خارجية محترمة.

وعلى كل حال فإن هنالك مسيحيين كثيرين يبدأون طريقهم بالرجولة ولكنهم تدريجياً ينحدرون إلى السير وفق نمط من الحياة يخلو من الرجولة ويتصف بالضعف والجبن والتصنع. وتصبح مسيحيتهم مجرد ظل، أو تصبح شكلاً ممسوخاً

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

لما كانت عليه يوما ما. وقد يكون من المفيد أن نذكر بعض الأسباب الرئيسية لهذا التردي الذي يصيب الحياة المسيحية مع ذكر أبسط الوسائل اللازمة لتجنب ذلك.

وأول هذه الأسباب أننا نرتكب الخطيئة خلال حياتنا اليومية. وقد تكون هذه الخطيئة عنفاً في المزاج أو نكداً في الطبع أو ابتعاداً عن الصدق أو طيشاً في التصرفات. وبما أننا نرتكب هذه الخطيئة تحت سمع الأهل وبصرهم فإن كثيرين منا يفقدون جسارتهم في حضرة الله وأما الناس. ومع أنهم لا يقوون على التخلي عن مسيحيتهم، إلا أنهم يصبحون جنوداً مهزومين تعساء بلا رجولة. ويلاقون الأمرّين من مخاصمة ضميرهم الشرير ويعانون من جراح نفوسهم التي تأبى أن تلتئم. ولا شك أنهم يعترفون بخطاياهم لله ويحاولون أن يعزّوا نفوسهم القلقة بنعمة الله لكن السلام والفرح لا يرجعان إليهم. وأما العلاج الشافي الكفيل بالقضاء على هذا السرطان الذي يفتك بحياتهم الروحية فهو يتلخّص بهذه النصيحة: كن رجلاً واطلب الغفران من أولئك الذين شهدوا زلاتك وثلمات سلوكك، قل لهم أنك لم تتصرف كمسيحي وقل لهم أيضاً كم يحزنك ذلك. وسوف ترى عندئذ كيف يأتيك ذلك بالفرج العظيم.

هذا وإننا حين نطلب الصفح عن خطيئة ارتكبناها إنما نقوم بأعظم عمل رجولي. وإن ما نجده من الصعوبة في فعل ذلك ليظهر لنا كيف أتلفت الخطيئة حياتنا وجردتنا من الرجولة. فنحن نظن بصورة غريزية، أننا نفقد شيئاً ذا قيمة حين نقر بآثامنا ونطلب الغفران، ولكن الواقع هو بعكس ذلك تماماً إذ أننا نجني بعملنا هذا أعظم الأرباح، فلن نربح السلام الباطني فحسب ولكننا سنربح أيضاً احترام الآخرين وثقتهم.

فليس أجدر بالثقة والاحترام من أولئك الذين يملكون الشجاعة اللازمة لطلب الغفران بصورة مخلصة صادقة حينما يخطئون. ولذلك عليك أن تصلي إلى الله كل يوم طالباً منه أن يمنحك هذه الشجاعة الرجولية فترى كم ستكون حياتك المسيحية ناجحة مزدهرة. هذا ما تؤكده كلمات الكتاب إذ تبين لنا أن "الله يعطي المتواضعين نعمة".

ar.arabicbible.com youth@arabicbible.com جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل